(المطلب الأول)

معرفة الله تعالى

يمثل هذا الموضوع الركيزة الأساس في الخطاب الديني لجميع الأديان السماوية ، كما يُمثل المبدأ العام لنبوة الأنبياء، وعمل الأئمة والأولياء وأهل العلم، لأنه لا يمكن أن يتحقق الانقياد والطاعة والعبودية إلا بالمعرفة ، فمعرفة الله تعالى تُعد المدخل والأساس لتوحيده تعالى ، وكلا المعرفة والتوحيد هما الخطوة الأولى في حياة الإنسان نحو التكامل في معرفة الهدف والغاية من الحياة والوجود فإن لم يعرف الإنسان ربه سوف لن يعرف الهدف والغاية من حياته ووجوده.

كما لا ينبغي الريب في وجوب النظر في معرفة الله تعالى ، وذلك لأن المعرفة ليست بديهية كما أن المعرفة ليس المقصود منها مجرد الاعتقاد بأن لهذا العالم مُبدعاً ، كون هذا المقدار لا يفي بالغرض ، بل المقصود بالمعرفة الاعتقاد بأن لهذا العالم خالقاً حكيماً عادلاً عالماً مُدركاً أزلياً سرمدياً وباختصار المعرفة هي التي تستلزمها معرفة الدين ، وإلى هذا أشار الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه)) .

لذا فإن المطلوب من الإنسان هو معرفة الخالق وهذه المعرفة تستلزم منه الآتي :

١. معرفة ما يتوصل به إلى معرفة الله تعالى .
٢. معرفة الله ومعرفة جميع صفاته .
٣. معرفة كيفية استحقاقه لتلك الصفات .
٤. معرفة ما يجوز وما لا يجوز عليه .
٥. معرفة بأنه واحد لا ثاني له في القِدم ، وأن لا طريق إلى معرفة هذه الأصول إلا بالاستدلال العقلي والنظر الفكري.

(المطلب الثاني)

أدلة وجوب معرفة الله تعالى

إن هذا اللون من المعرفة واجب على كل مكلف ، ومن أدلة الوجوب :

الأدلة العقلية ، ومن طريقين :

الدليل الأول/ شُكر المُنعم : كل واحد منا يشعر بمختلف النعم من حوله سواء في جسمه من العقل والجوارح أم في هذا الكون بسمائه وأرضه ، بمائه وهوائه وغذائه ، وضيائه ، لهذا يكون من المنطقي أن نتساءل : ألا يجب أن نعرف هذا المُنعم العظيم حتى نشكره بما يتناسب معه ؟ ترى لو أنك رجعت إلى بيتك فوجدت هدية قد جاء بها أحد ، ألا تسأل أهلك عن هذا الرجل : وعندما تسأل لماذا تتحرى عن هذا الرجل ، فإنك تجيب بدون شك أريد أن أعرفه حتى أرد على إحسانه ؟ .

الدليل الثاني/ وجوب دفع الضرر المحتمل : إن أحدنا لو سمع قبل قيامه بسفرة ليلية بأن هناك كميناً لمجموعة من قطاع الطرق تتصدى للمسافرين على هذا الطريق فإنه لا يرفع قدماً حتى يتأكد من خلو الطريق منهم .

ونحن نعلم في تاريخ البشرية من وجود أشخاص عُرفوا بالصدق والاستقامة وعرفوا أنفسهم بأنهم أنبياء الله ودعوا الناس للاعتقاد بذلك والعمل بكل ما يترتب عليه ، وقد آمن كثير من الناس بهم ، فهل من الصحيح أن نتغاضى عن أقوال وأفعال المتدينين الحقيقيين في العالم ، فإذا كان الأمر كما أخبروا فما هو جوابنا في محكمة العدل الإلهي ؟ ومن هنا وجب السعي لمعرفة أصول الدين والتفكير فيها برؤية وعمق حتى نكون في مأمن ونجاة وحتى ندفع احتمال الخوف المتوقع؟ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الإسراء (١٥) .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة الانفال (٢٤) .

الأدلة النقلية (النصوص الشرعية): وقد جاءت مؤكدة لما توصل إليه العقل ومُنبهة على ذلك، ومن هذه النصوص ، قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ سورة العنكبوت (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة محمد (١٩) .

المطلب الثالث

الطرق الصحيحة إلى معرفة الله تعالى

ذاته سبحانه وأسماءه وصفاته وأفعاله ، وإن كانت غير مستحيلة لمدركات العالم س ، لكنها ليست على نحو يستحيل التعرف عليها بوجه من الوجوه ، ومن هنا الحكماء والمتكلمين يسلكون طرقاً مختلفة للتعرف على ملامح العالم الرّبوبي، وهم ذلك العالم ليس على وجه لا يقع في أفق الإدراك مطلقاً ، بل هناك نوافذ على قلية ونقلية، يُرى منها ذلك العالم الفسيح العظيم، وها نحن نشير إلى هذه الطرق:

/ الرجوع إلى الكتاب والسُنة المطهرة :

أصل ثالث يعتمد عليه أتباع الشرع ، وهو التعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله ما ورد في الكتب السماوية وأقوال الأنبياء وكلماتهم ، وذلك بعد ما ثبت وجوده سم من صفاته ، ووقفنا على أن الأنبياء مبعوثون من جانب الله وصادقون في ماتهم وبفضل الوحي – الذي لا خطأ فيه ولا زلل – نقف على ما في المبدع نعوت وشؤون .

الرجوع إلى العقل :